الولدان ، ووعاظ يعظون المسلمين ويحثونهم على اتباع أوامر الشرع الشريف ولا يخفى مافي ذلك من صلاح الحال وحسن المآل

فالبدار البدار أيها المسلمون لمساعدة تلك المدرسة بالاموال الطائلة لان المال هو حياة المشاريع والاساس الذي تقوم عليه وتظهر والعمل العمل لابرازها في القريب العاجل . واعلموا انكم ان تقدموا في الدنيا من حسنة فستجزون عليها في الآخرة اضعافا مضاعفة وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال آمين)

عن رئيس الجمعية
محمد شكري
باسكندرية

مختارات

حال المسلمين والمصلحون

﴿ أو هل الى الرقي من سبيل (*) ﴾

لقد أسفر حديث مضى لنا وكان لهذا الحديث صدراً عن حقيقتين لامراء فيهما بل مقدمتين لأقضية سنفيض الكلام فيهما هما شعور عموم المسلمين بما حاق بهم من سيئات ما كسبوا واختلافهم في الرأي أي سبيل للنجاة يسلكون ؟ ولقد حدا بنا الحديث الى الافاضة في ولع المسلمين بالخلاف حتى في احرج المواقف واضيق الاوقات وكذلك حقت عليهم الكلمة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك فانهم يعلمون ان الرقي على ضربين مادي وادبي وان الرقي المادي نتيجة السعي والاخذ بما اخذ به الاقوام ولا يمنعهم من شروره الا التحرز بحرز الآداب الدينية التي ارشد لها الكتاب المبين . فهل بعد هذا لاحد هذين النوعين توقف على الآخر أو بالحري هل يكون

(*) قرأنا في جريدة مرشد الامة التي تصدر في تونس هذا القسم الثاني من مقال بامضاء سليمان الجادري عنوانه « هل الى الرقي من سبيل » فرأينا فيه من نور البصيرة مابعثنا الى نشره في المنار

نصيب كل منهما من الاهتمام في الوقت الحاضر على السواء أو ان احدهما الاحرى بالتقديم

الا لايجادل احد في ان الافعال مهما كانت قيمتها لاتصدر الا عن وجدان نفسي تابع للتربية العامة والتلقين بالتعليم وان التعليم ليجمع بين المختلفين في أساليب التربية فيجعلهم أشبه بعضهم من كل شيء . ولما كان المسلمون قد أصابهم من سيئات الشقاق والتدابر ما أصابهم وهم اليوم أحوج ما يكونون الى باعث يبعثهم على سلوك سبل الارتقاء الحق متحدين ، فهل لذلك من واسطة غير توحيد التعليم . وبذلك يتضح جليا توقف احد النوعين على الآخر وان سلوك طرق الرقي المادي قبل الوصول الى غاية في الرقي الادبي عسير ان كان ممكنا وبعكس النتيجة ان لم يكن عقيما

بقي النظر في هذه القضية وهي توحيد التعليم بين المسلمين هل للنفس في تحقيقها من طمع وهل اسبابها مهيأة وهل يقوم دون الوصول اليها من عائق عتيد .

لا أتوقف في الجواب عن جميع تلك الاسئلة بالايجاب وشرحها بيت القصيد . ذلك بان الله ورسوله يأمران جميع المسلمين بالائتلاف والاتفاق ويحذرانهم مزالق الفرقة وقد جمع الله المسلمين في اليوم وما قبله على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهم وهم بضع وسبعون فرقة تدين بما ذكر وتطأطئ الرءوس اذعانا وهذان هما جماع الخير ومنبع الرشد واذا وصل الفكر الى هذا الحد يرقص طربا إذ يرى فواق الناقة ابعد من رقي المسلمين ولكن تجاوزه هذا الحد يحدث له رد فعل يخور معه عزمه فيسقط في اليأس واهيا حيث يقف أمامه عائق عتيد وذلك هو كثرة الاعداء وقوتهم الفائقة الحد وتيقظهم لكل بادرة ينتج عنها صلاح المسلمين

ان المسلمين في سائر الاقطار قد تقاسمهم غيرهم فهم بين استقلال مستبد أو استيلاء غريب وكل من هذين ضنين بما غنم منهم فلا يغفل عن اقل شيء يضعف ضغطه عليهم حتى يستأصل شأفته ولا يدع سببا اوقعهم في يده حتى يحرص على استدامته حرصه على سيادته . وما المستبد الا حافظ أمين على تلك الغنيمة التي وقعت بين يديه حتى يسلمها من يده الغريب وهي على تربة العبيد

وهذه الحكومات بين مستبدة وغريبة قد اتخذت لها اعوانا قلدتهم أوسمة العلم ونياشين (المعارف) وابرزتهم للعامة حتى يكونوا مقام التقليد فكان هؤلاء حربا للمسلمين وما نما من ائتلافهم ومشتغا على كل من جاهر بهذا القصد بأنه ملحد عدو للمسلمين . فلا تلبث الحكومات أن تؤيدهم لانهم يؤدون لها أجل خدمة ولا تلبث

العامة أن تزدري بما ألقي اليها لانه ضد ارادة ساداتهم من أولي الامر وأهل الدين وهكذا تذهب صيحات المرشدين ونصائح المصلحين دون صدى ويذهب جهدهم سدى وما خصمهم الا من عرفت . ورعا بحث الناظر عن سبب وقوف هؤلاء سدا في وجه كل اصلاح وهم احق من قام بدعوى الاصلاح لمكانهم من الدين . فأقول ان لذلك سببين أولهما الاعتقاد بأن شكر المنعم واجب وان الذي أجلسهم على الوثير وألبسهم من الحرير ورفع منزلتهم وجعلهم يعيشون عيش المترفين لخليق بأن يكونوا حراس عرشه وحفاظ عيشه الذي هو أصل عيشهم ولعلهم برجوعهم الى الحق يرجعون الى العيش الضيق والتقشف الذي كان يكابده السلف وذلك ما يرجفون لذكراه وربما خرج بعضهم عن منصبه لسبب فرأيت منه من الافكار ما سرك وتمنيت ان يكون ذا منصب حتى يكون للاصلاح خير ظهير . هذا أضعف السببين ، واقواهما شعور أكثر هؤلاء بالقصور عن درجة العلم الحقيقي وصعوبة اعترافهم بالحقيقة ما داموا علماء رسميين فغالطوا أنفسهم كما غالطهم أولو الامر وانفوا من ظهور ذي حجة مبين لقصورهم

أقول ما أقول غير قاصد فردا أو جمعا خاصا ولكن هو وصف لمن اتصفوا بالعلم قديما وحديثا الا أهل العلم من خير القرون فلقد كان العلم على عهدهم غير رتبة يمنحها الولاة للذوات ولكنه حكمة يختص بها الله فريقا ممن جاهدوا في سبيل تحصيلها وكانوا يطلقونه على أهل الرواية وأسرار التنزيل وكذلك كان العلماء أحرارا في الاستنباط والفهوم وكان العوام أحرارا في الاتباع والتقليد ولكن ملوك الاستبداد لما رأوا ان الدعاوي السياسية لم ترتكز الا على أصل ديني اضطروا الى ايجاد قوة تؤيد ما هم عليه من جليل الاشياء وحقيرها فتجعله للدين أصلا ويوفق بينها وبينه ولو بالتمحل في التأويل ولن يرضى بهاته المنزلة الدنية الا ذو البضاعة المزجاة في العلوم فان العالم الذي أشربت نفسه عزة العلم لا يرضى ان يخدم غرض جاهل تلقاه قليل أو كثير من الحطام وانه ليلقى أشد صعوبة اذا رام ان يخالف ضميره ويأتي أمرا نهاه عنه ما تلقاه.

ولم يخل قرن من الايام الخالية من عالم يقوم بانكار ما يرى ويجهر لتلك الفئة انهم على ضلال وما هو الا ان يرن صدى مقاله في آذان الملوك الذين يضرهم قوله فيجردون عليه جيشا من أولئك الذين ألبسوهم (حلية) العلم وقلدوهم تاج (المعارف) اذ كانوا يوقنون انه لا يغني عنهم في تلك الغارة سيف ولا سنان ولا ينفك أولئك عن مطاردة الحق حتى يخفت صوته ويستقر في اذهان العامة ان أولئك العلماء يجاهدون في سبيل الدين

وهم يجاهدون في سبيل شهوة الحاكمين ويقوم لديهم في بعض الاحايين الباعث الآخر على مطاردة أولئك المحقين ، وهو خوف رجوع أولي الامر والعامة الى أولئك النابغين، فيفقدون منزلتهم التي تبوأوها عن غير حق ، ويظهر جليا عليهم القصور، فارهفوا الحداستعدادا لتلك الطوارئ ، ونصبوا الاسلام على اسنة أقلامهم وقالوا اما التقليد لكل ماترون، أولا فليس الا الحاد وزيغ وضلال، دون ان يكلفوا انفسهم مشقة الاستدلال، ولئن سألتهم عما يقصدون من اشهار تلك الحرب العوان ليقولن انا حماة الدين وانه ليوجب علينا تغيير كل منكر رأيناه .مالهم لايغيرون مابين ايديهم من المنكرات ، بل بالعكس تراهم قائمين عليها وبها يأمرون

الم تر انهم يبصرون الشموس كالاساطين والمصابيح الالوف تسرج ونور السراج الوهاج يضيء مابين اللاتين . الم تر انهم يبصرون المباخر الفضية توضع في مجالس احاديث الرسول (صلوات الله عليه) وهو ينهى عنها وهم بها راضون. ولكن هذه المنكرات الصريحة لاتسوءهم مثلما يسوءهم من ينادي بان الخلاف بين فرق المسلمين يمكن تسويته وانهم لو احسنوا المناظرة لما اختلفوا وان تنديد بعض هذه الفرق ببعض في غير محله ولا ينبغي الاقرار عليه . من قام بهاته الدعوة وقرع بها اسماعهم وهي كما رأيت اقصى مايتمنى المسلمون لايكون جزاءه منهم (أي من هؤلاء العلماء) سوى رميه بالاعتزال بل بالمروق والزيغ والالحاد . والاستدلال على ذلك لديهم هين اذ لا يتجاوز حكاية مناضية رآه فيها مسود الوجه متغير الحال كما بلي جمال الدين الافغاني (بسميه) وكما بلي به الشيخ محمد عبده ويمجنون بيروت ، وكما بلي من قبله الغزالي بمن لايصلح ان يكون شراكا لنعله،فرموا بالزندقة والالحاد والكفر والاعتزال (لان في عرفهم ان الاعتزال منقصة) ويطلقون كل هاته الالفاظ على شخص واحد مع علمهم باختلاف معانيها ولكن حيث كان الباعث على قذفها الغيظ والعداء لايرون حرجا في جمعها في كنانة واحدة اذ جعبة الغضب أوسع من جعبة الحق، ويجرئهم على ذلك مركزهم الذي يجعل كلامهم مقبولا ويأمنون به مناقشة الحساب

الا لقد سار القلم شوطاً بعيدا في هذا الميدان حتى اشفق الفكر على القارئ السآمة والضجيت وما كان القصد سوى التعريف بان السبب الذي يقف في وجه رقي المسلمين هو قوة اعداء ذلك الرقي وبيان ان أهل الامر هم أصحاب الفائدة من تقهقر الامة وهم الذين أوقفوا لسعيهم حدود اولا فكارهم جنودا ممن ذكرنا ، فهم

المؤاخذون الاصليون ، وان جندهم من أولئك ليعلمون على قدر عقولهم ، لم يصلوا الى مرتبة تعرفهم بالحق حتى يكونوا اذا لم يأخذوا به مؤاخذين . بل ذلك مبلغهم من العلم والحياة الدنيا جل مايطلبون ، وان منهم لفريقا يكتمون الحق وهم يعلمون ، وما اولئك الا القليل

ذلك العائق الذي شرحناه هو الذي حجز بين المسلمين وبين مايرتقون فهل من مطمع في زواله وهل الى الرقي من سبيل سليمان الجادوي

(المنار) قلما رأيت في الجرائد كتابة في حال المسلمين أو في المسائل الاجتماعية موزونة بميزان العقل ، وصادرة عن روية واستقلال في الفكر ، كهذا المقال . واني اجيب الكاتب الفاضل بأن السبيل الى رقي المسلمين واحدة وهي أن يكثر فيهم المصلحون من أهل العلم والبصيرة والتقوى فيقوى حزبهم على حزب الدجالين الجامدين ، الذين حالوا بين المسلمين وبين الترقي في دينهم ودنياهم معا ، ولا بد لهذا من سعي خاص حتى لا يطول أمد الوصول اليه وهو كائن باذن الله طالت المدة أم قصرت . ولا يهولنك كثرة أتباع الدجالين فما ذلك لتأثير دجلهم الحادث ، وانما هي بقايا الداء الموروث ، وقد يموت اكبر طاغوت منهم فلا يشعر الذين على رأيه بأنهم فقدوا شيئاً فكثرتهم الى قلة وقلة المصلحين وأتباعهم الى كثرة والعاقبة للمتقين

الباطنية (*)

(وآخر فرقهم البابية البهائية)

جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني تحت عنوان (الاسماعيلية) مانصه :

قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثناعشرية بأثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة . وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال

(*) تابع لما نشر في (ج ١٢ م ١٣)